الفصل الثالث

وسائل وتكنولوجيا التعليم والتعلم
وطبيعة عملية الاتصال التعليمى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث
وسائل تكنولوجيا التعليم والتعلم وطبيعة عملية الاتصال التعليمى

الوسائل التعليمية وعملية الاتصال

ـ ما هو الاتصال؟

هو العملية التى تنقل عن طريقها المعرفة من شخص لآخر حتى تعم هذه المعرفة وتصبح مشاعا بينهما وتؤدى إلى التفاهم بين هذين الشخصين أو أكثر.

كما يمكن تعريف الاتصال بأنه عملية مشاركة فى الحقيقة أو المعلومة أو الخبرة بين شخص أو أكثر حتى تعم هذه الخبرة بينهم.

ويترتب على الاتصال إعادة تشكيل وتعديل المفاهيم والتصورات السابقة لكل طرف من الأطراف المشتركة فى عملية الاتصال.

وعلى ذلك فعملية التعليم ليست مجرد التقاء معلم بتلاميذه، وقيامه بتقديم بعض المعلومات للتلاميذ، ولكنها لقاء خبرتين حول موضوع الدرس، خبرة المعلم وخبرة التلميذ.

وتتم فى عملية الاتصال نقل المعرفة بأنواعها المختلفة من شخص (المعلم) إلى شخص آخر (التلميذ) أو من نقطة لأخرى وتتخذ لها مساراً يبدأ عادة من المصدر التى تنبع منها (المعلم) إلى الجهة التى تستقبلها (التلميذ) ثم يرتد ثانية إلى المصدر (المعلم) وهكذا..... ومن هنا يتضح لنا أن عملية الاتصال لا تسير فى اتجاه واحد بل هى عملية دائرية (مصدر- مستقبل- مصدر ... الخ) تحدث داخل مجال أوسع وأشمل، يضم كل الظروف والامكانيات التى تحيط بعملية الاتصال وتؤثر فيها ويشار إليها أحيانا بالبيئة التعليمية أو المجال التعليمى. كما هو موضح بشكل (٦)

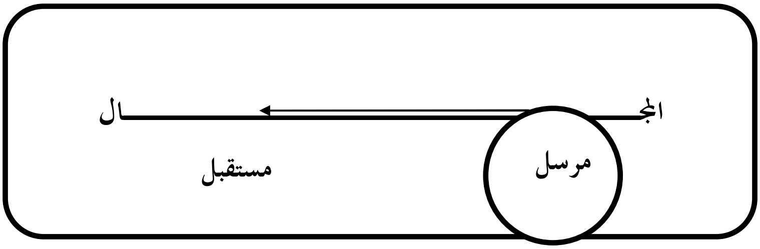

obeikandi.com

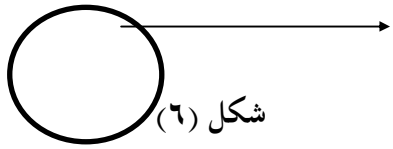

شكل (٦)

عملية الاتصال والوسائل التعليمية

ويمكن أن تكون حجرة الدراسة هى أحد المجالات التى يتم فيها الاتصال بين المعلم والتلاميذ وأن خبراتهم السابقة ونفسياتهم والبيئة التى يأتى منها كل تلميذ،كلها ترتبط بهذا المجال وتؤثر فيه تأثيرا كبيرا، بل يجب على المعلم أن يراعى هذه المؤثرات المختلفة التى تؤثر فى المجال التعليمى لأنها بلا شك ستؤثر على عملية الاتصال والاستقبال بين المعلم وتلاميذه.

كما يجب أن نفهم أن عملية الاتصال بين المعلم وتلاميذه لا تسير فى اتجاه واحد فقط، وهو كما قد يتصور البعض ينتقل الاتصال فقط من المعلم إلى التلاميذ، فهذا معناه أن المعلم مرسل دائما والتلميذ مستقبل باستمرار، وحينئذ تقتصر مهمة المعلم على الإلقاء والتلقين والشرح من جانبه تاركا مهمة الحفظ والاستيعاب والسلبية لتلميذه، وهذا خطأ تربوى كبير يجب ألا يقع فيه المعلم، فالمعلم الناجح هو الذى يوسع دائرة الاتصال بينه وبين تلاميذه، وأن يعمل على تزايد الارتدادات التى تصل إليه من تلاميذه ليقف على مدى تحقق أهداف درسه.

وإذا كان لعملية الاتصال جانبى الإرسال والاستقبال أو المرسل والمستقبل فإنه تكملة لهذه الدائرة يوجد ما يسمى أيضا بالرسالة وهى موضوع الدرس بما فيه من معلومات أو مهارات أو اتجاهات أو تفكير أو ميول واهتمامات، أى خبرات الدرس المتنوعة الشاملة والتى ينبغى أن تقدم للتلاميذ أثناء عملية الاتصال. ولكى تنتقل الرسالة من المعلم إلى التلاميذ فلابد أيضا من وسيلة أو وسيط يحمل الرسالة من المرسل إلى المستقبل وهذه الوسيلة أو الوسيط هى ما يسمى بالوسيلة التعليمية.

وتتوقف قدرة المستقبل (التلميذ) على فهم الرسالة واستيعابها على ما لديه من خبرات سابقة كما ذكرنا من قبل، وأيضا على نوع الوسيلة أو الوسيط الذى ينقل هذه الرسالة وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن عناصر دائرة الاتصال فى المجال التعليمى تشمل:

١- المرسل ٢- المستقبل ٣- الرسالة ٤- الوسيلة

والرسم التالى يوضح جوانب دائرة الاتصال وكيفية إرتباطها ببعضها فى المجال التعليمى (شكل ٧)

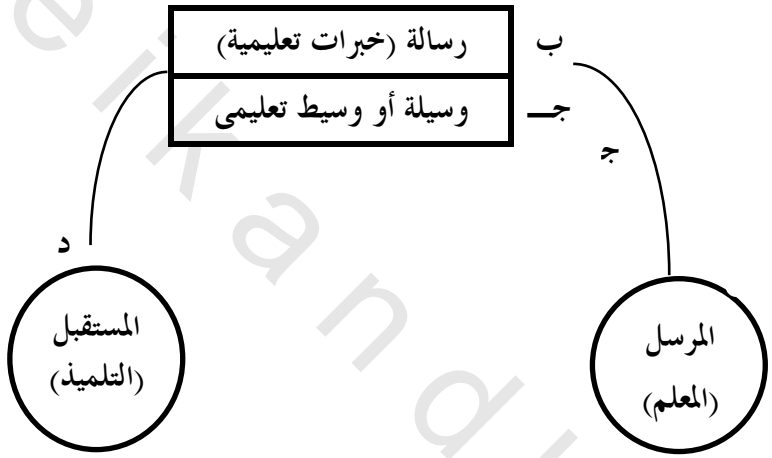

شكل (٧)

عناصر دائرة الاتصال فى المجال التعليمى

فإذا كان المعلم (المرسل) يشرح درسا لتلاميذه فى موضوع ما مستخدما اللغة اللفظية والخريطة مثلا (رسالة+ وسيلة)، وأن التلميذ (المستقبل) قد استوعب رسالة المعلم وإدراك معانيها ثم سأل المعلم تلميذه سؤالا فأجاب عليه الأخير، فإنه يتحول فى هذه الحالة من مستقبل إلى مرسل وكذلك لو أن التلميذ سأل معلمه سؤالا فيصبح التلميذ هو المرسل والمعلم هو المستقبل، كما هو موضح بشكل (٨)٠

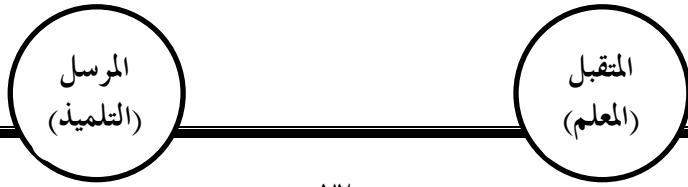

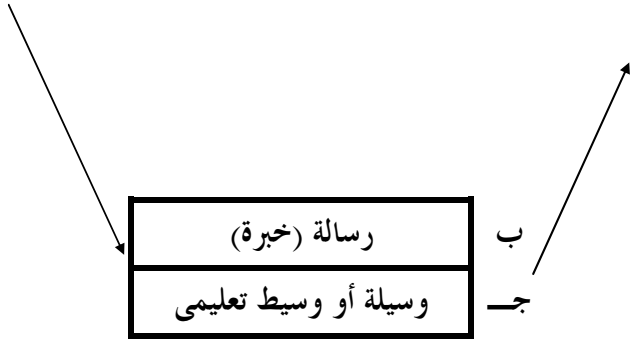

شكل (٨)

عناصر دائرة الاتصال فى الاتجاه العكسى

أى أن عملية الاتصال فى هذه الحالة أصبحت عكسية فالمرسل أصبح مستقبلا والمستقبل أصبح مرسلا. ويوضح شكل (٩) الحالتين السابقتين معا:

ويمكن القول بأن عناصر الدائرة الاتصالية فى المجال التعليمى بمشتملاتها الأربع وهى المرسل والمستقبل والرسالة والوسيلة أو الوسيط تعمل كلها معا كوحدة واحدة مترابطة داخل هذا المجال.

(١) فالمرسل وهو مصدر الرسالة ربما يكون المعلم وربما يكون الكتاب الذى بين يدى التلميذ وربما يكون الآلة التعليمية أو الكمبيوتر الذى يتعامل معه المتعلم فليس المقصود بالمرسل هنا المعلم فقط بل ربما مصدر آخر يمكنه أن يصدر رسالته التعليمية للمستقبل، ولكن حينما يكون المرسل بشرا وليس آلة تعليمية أو مطبوعات معينة فيكون بالتأكيد هناك فرق بين الحالتين، فالمعلم يقدم الخبرة أو المعلومة وهو مزود بخبرات سابقة ولديه من الخصائص النفسية والطبيعية والاجتماعية والثقافية ما يؤهله للتعامل والتفاعل مع المستقبل (التلميذ) صورة طيبة.

أما إذا تم الاتصال بين الآلة (المرسل) والمتعلم (المستقبل) فالتفاعل بينهما سيكون جامدا وليس مرنا فلا خبرة سابقة للآلة ولا خصائص نفسية أو اجتماعية لها ولكن هذا لا يمنعنا فى الدعوة إلى التنويع فى مصادر إرسال الخبرات للمتعلم. فالمعلم لاغنى عنه فى الموقف التعليمى كمصدر ثرى لهذه الخبرات والآلة التعليمية مطلوبة أيضاً توفيراً للوقت والجهد والمطبوعات والكتب لاغنى عنها للتوسع والإفاضة عند عرض هذه الخبرات.

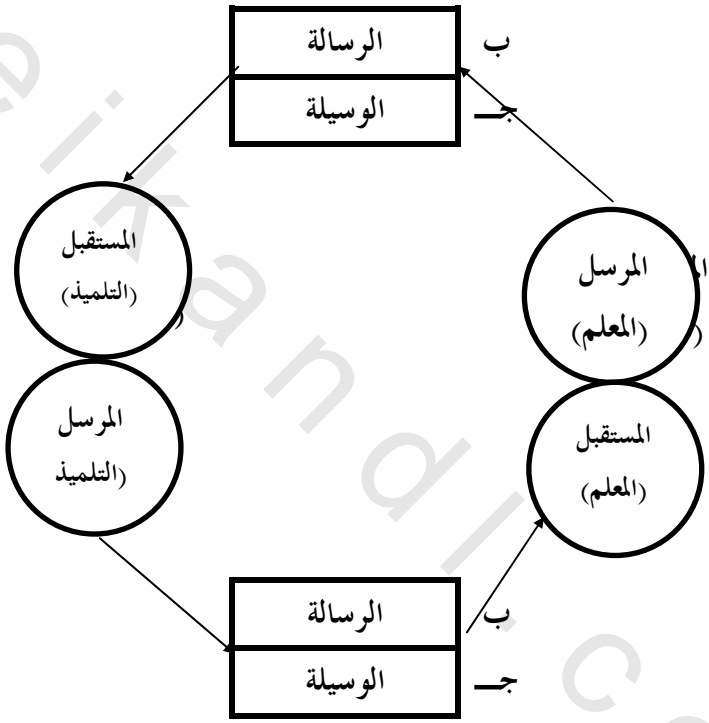

شكل (٩)

عناصر دائرة الاتصال فى الحالتين معا

(٢) أما المستقبل فهو ذلك الشخص الذى توجه إليه الرسالة من المرسل (من مصدر الخبرة) حيث يجب عليه فهم الرسالة وحل رموزها وتمعنها وهضمها فى عقله وفكرة وتتضح آثار هذا الفهم والتمكن فى سلوك المتعلم، وعلى هذا الأساس فإن المعيار فى العملية التعليمية ليس بمقدار ما نرسله إلى المتعلم بل

بمقدار ما يتمثله الأخير وينعكس على سلوكياته لأن السلوك هو الدليل على نجاح الرسالة وتحقيق الهدف وهذا يدعونا إلى أن نراعى فيما يقدم للمتعلم عدم التركيز على جانب الكم والحشو والسعى إلى تحفيظ المتعلم للمادة التعليمية بل نراعى ضرورة انعكاس ما يتم إرساله له على سلوكياته فيفكر بطريقة سليمة ويطبق ما يتعلم ويستفيد به فى حياته العملية ويعتاد فى حياته على السلوكيات الصحيحة ويفكر فى حل المشكلات التى تواجهه بالطريقة العلمية حينئذ يقال أن الهدف التعليمى قد تحقق وهذا هو الأهم.

(٣) بالنسبة للرسالة التى ترسل للمتعلم، فهى ذلك المضمون العملى بما فيه من معلومات (حقائق ومفاهيم ونظريات وقوانين وتعميمات ومبادئ) ومهارات (اجتماعية ويدوية وعلمية أو أكاديمية) واتجاهات وآراء وميول واهتمامات وغير ذلك من الخبرات التعليمية المتعددة التى ينبغى تمثل المتعلم لها وفهمها وتشبعها وانعكاسها على سلوكياته، وكلما ارتبط موضوع الرسالة بهدف المتعلم وبحياته وبمشكلاته وبطموحاته كلما زاد ذلك من اكتسابه لها وبسهولة ويسر وفى اقل وقت ممكن وكلما ابتعد مضمون الرسالة عن هدف وميول واهتمامات ومشكلات ومستوى نضج المتعلم كلما عطل ذلك من مهمة توصيلها إليه بسهولة ويسر.

(٤) أما الوسيلة أو الوسيط فهى بمثابة المسلك الذى تسلكه الرسالة بين المرسل والمستقبل فهى قناة الاتصال بينهما التى تحمل فى طياتها الرسالة (الخبرة أو الموضوع) وهذه القنوات أو الوسائل متعددة ومتنوعة فمنها التقليدى ومنها الحديث ومنها المطور ومنها المبسط ومنها المعقد ومنها المكلف صناعيا ومنها غير المكلف ماديا، ومنها الضخم ومنها المصغر وغير ذلك مما سيأتى بتفاصيله فى فصل لاحق من هذا المؤلف... ولكن ما يجب الإشارة إليه فى هذا الصدد هو أن المعلم لكى يسهل من مهمة نقل الرسالة إلى المرسل إليه (المتعلم) فيجب عليه أن يحسن اختيار هذه الوسيلة وأن يحسن أيضا عملية استخدامها فى الفصل أو فى

المجال التعليمى وأن ينوع فيها ولا يعتمد على وسيلة واحدة فقط فى كل موقف وإلا أصيب المتعلم بالملل وربما بالاحباط منها كما يجب عليه أن يراعى مدى ملائمة الوسيلة لأهداف الدرس، ومن هنا اعتبرت وسائل وتكنولوجيا التعليم والتعلم احدى عناصر دائرة الاتصال بين المعلم والمتعلم، بل هى العنصر الهام والمساعد والفعال فى الموقف ومن هنا تأتى أهمية الوسيلة التعليمية فى العملية التعليمية.

مفهوم الاتصال:

إن الاتصال لا يتحقق إلا من خلال عملية اجتماعية، وهذه العملية الاجتماعية هى التفاعل، وهذا التفاعل لا يتحقق إلا فى مجتمع، بمعنى أن الاتصال هو نتاج التفاعل بين الفرد والمجتمع وما دام الأمر كذلك يصبح الاتصال من العمليات الاجتماعية المستمرة ذلك لأن الإنسان يعيش طوال يومه، بل طوال عمره فى عملية اتصال لإشباع حاجاته المتعددة.

إن الاتصال يمكن اعتباره عملية اجتماعية وكذلك يمكن اعتباره ظاهرة اجتماعية، وكل ظاهرة اجتماعية عبارة عن نتاج تفاعل الأفراد أو الجماعات، بمعنى أنه عندما يكون المجتمع فى شكل جماعة من الناس فى تفاعل مستمر، كل مع الآخر فانه يتضح من ذلك أن التفاعل من المفاهيم الأساسية الهامة فى المجتمع.

عوامل التفاعل فى المجتمع :

١- العامل الهادف : بمعنى أن التفاعل يوجه نحو هدف ما.

٢- العامل الشخصى: بمعنى أن يكون التفاعل شخصيا.

٣- العامل الانعكاسى: بمعنى أن يكون التفاعل قائما على الفروق التى تنشأ فى الموقف بين أطراف التفاعل.

٤- العامل التاريخى: بمعنى أن يستمد التفاعل عناصره من التاريخ أو من الماضى لأنه تجسيد كلى أو جزئى للتراث الاجتماعى.

نماذج تحقيق التفاعل الاجتماعى:

١- التفاعل وجها لوجه.

٢- التفاعل الداخلى.

٣- التفاعل عن طريق وسيط أو وسيلة مثل الكتاب.

فالتفاعل بين المؤلف والقراء، وبين القراء أنفسهم حينما يقوموا تحت تأثير المؤلف، فإن الواسطة أو الوسيلة هنا هى الكتاب، وحينما تكون تلك فى شكل أكبر وأوسع تصبح فى شكل وسيلة اتصال جماعية أو جماهيرية مثل الإذاعة أو الصحافة أو التليفزيون أو الكتب والمجلات... الخ، وكل ما يؤثر فى عقول وجهات نظر واتجاهات الأفراد والجماعات فى تفاعلهم مع بعضهم البعض، فإن هذا التأثير وما يترتب عليه من نتائج يشكل أبرز ظاهرة اجتماعية فى العصر الحديث.

ومن هنا فإن النفوذ الذى يملكه هؤلاء الذين يتحكمون فى وسائل الاتصال الجماهيرية لا حدود له مما يساعد على تحقيق أهدافه السياسية والاجتماعية ومن ثم فإن النفوذ الذى يملكه رجال الإعلام لا ينبغى أن يترك دون قيود تكبح جماحه، ولابد أن يراقب بصفة مستمرة من خلال ممارسة رجال الإعلام لمسئولياتهم، وبشرط ألا تقضى تلك المراقبة على قدرات الإبداع والابتكار لدى المتخصصين فى الإعلام.

الاتصال كعملية اجتماعية:

لعملية الاتصال وجهان أحدهما ايجابى يؤدى إلى تماسك المجتمع وتدعيم أعضائه الاجتماعية وزيادة فعالية ذلك المجتمع والآخر سلبى يؤدى إلى تفكك المجتمع وتحطم شبكة العلاقات بين أفراد المجتمع، ومن ثم تزداد فى المجتمع عوامل التخلف مما يؤدى إلى انحطاط وهرم المجتمع.

أشكال عملية الاتصال:

الشكل الأول : وهو الاتصال الذاتى: أى الاتصال بين الفرد وذاته وهو الاتصال الذى يتمثل فى الشعور بالوعى والفكر والوجدان وسائر العمليات النفسية الداخلية الأخرى.

الشكل الثانى : وهو الاتصال الشخصى: أى الاتصال بين فرد وآخر ويتحقق هذا الشكل فى الجماعات الصغيرة كالأسرة وجماعات النشاط الحر، وهى جماعات صغيرة تنشأ بين أعضائها علاقات شخصية صحيحة.

الشكل الثالث: وهو الاتصال الجمعى: والذى يتمثل فى الاتصال بين مصدر واحد إلى عدة ملايين كما يحدث فى الإعلام أو الاتصال بين الملايين والمصدر كما يحدث فى الإدلاء بالأصوات فى الانتخابات.

الشكل الرابع : وهو الاتصال الثقافى: وهو الشكل الذى تتفاعل فيه البيئة الثقافية فى شكل عمليات اجتماعية، تتنوع فيها المعلومات كالمؤتمرات والندوات ... الخ.

تطور حضارات عملية الاتصال:

تتابع الحضارات من عصر إلى آخر طبقا للمنظور الذى يستخدمه الباحث فى دراسته، فيقال مثلا إننا منذ سنة ١٩٦٩ – تاريخ وضع الإنسان لأقدامه لأول مرة فوق سطح القمر– يقال أننا نعيش حضارة الأقمار الصناعية... ولعل أول حضارة كانت ترتبط بالزراعة، وعلى نفس النمط فإن علماء الاتصال قسموا الحضارات فى تتابعها من منظور اتصالى على أساس انتقالها من:

أ – الحضارة السمعية: عندما كانت الاتصالات بين الإنسان والآخر أو الآخرين، تعتمد على الأصوات فحسب، وعندما كان الإنسان يعيش خبرته الكلية المتكاملة الشاملة، قبل ظهور اللغة الحديثة بحروفها الصوتية.

ب– الحضارة الكتابية : تلك التى توصل فيها الإنسان إلى استخدام الكتابة فى الاتصال بينه وبين الآخرين وبعد ظهورها تفجرت الانطباعات الكلية والمدركات المتكاملة للأشياء إلى أجزاء مجردة لا صلة لها بالواقع الموضوعى.

جـ- الحضارة الطباعية: تلك التى أضافت إلى اللغة المكتوبة بعدا آخر مؤكدا النظرة الجزئية، والادراك المتجزئ للأشياء ومن خلال هذا المنظور الحضرى الاتصال بدأت الأفكار تتخذ شكل التسلسل أو التتابع، ومن ثم ظهرت مفاهيم جديدة مثل العجلة الآلة، خط الانتاج المتتابع، وكلها أفكار ميكانيكية تتوائم مع ابتكار الطباعة كوسيلة اتصالية تعتمد على الحروف المرصوصة جنبا إلى جنب، ضمن كلمات داخل عبارات فى أسطر متتالية تنطوى على معانى متنوعة.

فالطباعة كوسيلة اتصالية يعزى إليها ازدهار الروح الفردية والروح القومية بشكل مفاجئ فى القرن السادس عشر فى أوربا، ولهذا يقال أن الحضارة تشتق طابعها من وسائل الاتصال الجمعى غير أن الطباعة بمساعدتها على ظهور المذهب الفردى، والى نوع من التجزئة الاجتماعية، كانت عكس الحضارة الاتصالية التى تعتمد على الكهرباء (مثل الإذاعة) التى هى بمثابة عامل التئام وتجميع.

د - حضارة التلغراف والتليفون والسينما والإذاعة المسموعة والمرئية: وهى الحضارة التى توصف بأنها "عود على بدء" حيث تحتوى على العناصر الاتصالية الحديثة بجوار القديمة، ذلك أن الكتابة تحتوى على الكلام (الأصوات) والطباعة تحتوى على الكتابة ، والتلغراف يحتوى على الطباعة، والاذاعة تحتوى على التليفون، والسينما تحتوى على الصوت والصورة، وكذلك التليفزيون يحتوى على السينما (أى الصوت والصورة أيضا) وما إلى ذلك وفى ظل تلك الحضارة الاتصالية لم يعد العالم مناطق شاسعة مترامية الأطراف وإنما أصبح العالم قرية صغيرة يمكن الوقوف على كل ما يجرى بها ساعة حدوثه بالصوت والصورة والكلمة التحليلية، لاسيما بعد اختراع الأقمار الصناعية.

وفى ظل هذا التتابع الحضارى الاتصال، سوف نتناول هنا أهم نظريات الاتصال ووسائله، بحيث يكون القارئ على بينه من الفروق الرئيسية بين كل من تلك النظريات وهذه الوسائل.

نظريات الاتصال:

بدأت هذه النظريات فى شكل صور بدائية للاتصال لا تتوافر فيها القضايا الاتصالية التى تشكل نظرية علمية، ثم ازدادت الأفكار الاتصالية عمقا وأخذت أبعادا جديدة جعلتها تتحول إلى نظريات علمية لها جدارتها وذلك على النحو التالى:

الصور البدائية للاتصال : (الاتصال منذ نعومة الأظافر)

إذا تركنا تجمعات الحشرات والطيور والثدييات إلى عالم الإنسان نجد الطفل البشرى منذ لحظة ميلاده يتميز بالخصوبة الاتصالية التى تمتاز بها الطبيعة البشرية ولئن كانت مظاهر هذه الخصوبة لا تبلغ قمتها إلا فى نهاية السنة الثالثة من العمر، فالطفل البشرى يتابع حركات وجه الأم فى الأسبوع الثالث من عمره وفى الأسبوع الرابع يستطيع تحريك رأسه قليلا بما يتيح له فرصة متابعة المرئيات فى أفق أوسع، بل إن النظرات المائعة التى لا هدف لها تختفى كما يميل إلى الابتسام "ابتسامة مستقرة قليلا" لبضع ثوان.

هذا الرأى بملاحظات "بول جيوم" على طفلية، وملاحظات "هتزر" وتيودرهات على ١٢٦ طفلا تتراوح أعمارهم بين يوم واح وخمسة شهور، وانتهى إلى أنه فى نهاية الشهر الأول تبدأ أواصر الصلات تنعقد بين الطفل والآخرين بينما تتدعم وحدته الداخلية وتزداد تغايرا وهكذا نجد أن الانتقال من حالة اللاتعين الأولى تسير منذ البداية فى طريقين متعارضين متساندين

- فمن ناحية بوادر التآزر العضلى العصبى الذى يضع الأساس العضوى للأنا المتميز بحدوده.
- ومن ناحية أخرى يظهر هذا التآزر نفسه معبرا عن ارتباط الطفل بالآخرين.

غير أن هذا الارتباط من طرف واحد، يعتمد على البكاء والابتسام من ناحية الطفل والاستجابة التفسيرية من ناحية الأم، ومعنى ذلك أنها صلة من طرف واحد ولا يستمر هذا الوضع طويلا، حيث يبدأ الطفل فى الاستجابة لأصوات البالغين بإصدار صوت هو الآخر فى نهاية الأسبوع السابع من عمره، ولاحظ "شتيرن" حدوث ذلك فى نهاية الأسبوع التاسع، ومن هنا تبرز أهمية الصوت بشكل واضح، ويدخل التغاير على طريقة استخدامه له فبعد أن كان يستخدم مرتبطا بالتعبير عن الألم والجوع حسب، أصبح يسخدم للتعبير عن حالة وجدانية أخرى.

نظرية "أرسطو" فى الاتصال:

لم يضع "أرسطو" نظرية مستقلة للاتصا ولكن الوقوف على وجهة نظره فى الاتصال من دراسة تراثه الذى كان فيه أكثر تلمسا للحياة الواقعية، وأكثر اعتمادا على التجربة بوجه عام سواء فى بحوثه الاجتماعية أو الفلسفية. فقد وضع "أرسطو" أسسا علمية لا تزال قائمة للتفاعل بين الخطيب (المرسل) والجمهور (المستقبل) تقوم على أن يعد المرسل رسالته (خطبته) بصورة شيقة وجذابة ومقنعة، حتى يمكن أن تؤثر فى الجماهير بالصورة المستهدفة.. ذلك أنه لا قيمة للاتصال– من وجهة نظره– ما لم يكن مقبولا من الجمهور (المستقبلين) وقد قسم "أرسطو" الموقف الاتصالى إلى ثلاث مراحل هى:

أ – الخطيب أو (المرسل)

ب– الخطبـــــة أو (الرسالة)

جـــ– الجمهور أو (المستقبل)

وأوجب "أرسطو" على الخطيب (المرسل) أن يدرك ما يعتمل فى نفوس الجمهور من قيم ومبادئ ومعايير وسنن اجتماعية، على أساس أن إدراك الجمهور للرسالة يتأثر بتفسيره لهذه الرسالة وهذا التفسير يعتمد على الوضعية الاجتماعية للجمهور من حيث تنشئته الاجتماعية، والإطار أو النسق القيمى الذى يأخذ به.

نظرية "ابن خلدون" فى الاتصال:

لم يضع "ابن خلدون" أيضا نظرية فى الاتصال وإنما يمكن الوقوف على وجهة نظره فى هذا المجال من منهاجه فى البحث الاجتماعى حيث أوضح قصور الاتصال بين الماضى والحاضر، وأرجع هذا القصور إلى "التشيعات للآراء والمذاهب" وبرر ذلك بقوله (أن النفس إذا كانت على حال الاعتدال فى قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر، حتى تتبين صدقه من كذبه وإذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، فكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع فى الكذب ونقله) ويلاحظ من هذا، أن "ابن خلدون" يوضح أثر التحيز فى تقبل الرسائل الاتصالية، ولا يكتفى بذلك وإنما يطلب فى مكان آخر من "المستقبل" أن يضع كل رسالة تصل إليه فى ضوء طبيعة العمران الإنسانى، حيث يقول وإذا ما اعتمد فى الأخبار "على مجرد النقل ولم يحكم طبيعة العمران الإنسانى فربما لم يؤمن من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصواب" وواضح من قوله هذا إلزامه للمستقبل برفض قبول الرسالة المنقولة إليه ما لم يضعها تحت مرآة الأوضاع الاجتماعية السائدة وبذلك لا يقع فى الخطأ.

ويبدو أن "ابن خلدون" وهو يبدى هذا الرأى كان يضع نصب عينيه التزام الوالى يومئذ بإلقاء خطبة عقب صلاة الجمعة فى المسجد الجامع أو المسجد الكبير فى الولاية وأن تكون هذه الخطبة شاملة لأمور الدين والدنيا يستمع فيها المسلمون إلى كل ما يهمهم من الشئون العامة فى الولاية وما ينبغى عليهم معرفته من أمور وأحوال، كان يتلقون الأوامر والقرارات الجديدة سواء ما كان منها صادرا عن الخليفة فى العاصمة المركزية أو عن الوالى ذاته وقد تمتد هذه الخطبة إلى ما بعد صلاة العصر... أما إذا كانت القرارات الصادرة عن الخليفة قرارات عاجلة فإن الوالى يرسل بالمنادين فى أرجاء المدينة لدعوة الناس إلى المسجد الجامع لسماع هذه القرارات حتى ولم يكن ذلك فى وقت الصلاة وبهذا كان دور الجامع من الأدوار السياسية والدينية والإعلامية ولا ضير فى ذلك فالمسجد مؤسسة اجتماعية والإعلام جزء من علم الاجتماع، كما أن الدين لا يفصل بين الدين والدنيا.

ويمكن تلخيص الموقف الاتصالى لدى "ابن خلدون" على النحو التالى:

١- المرسل: فمن رأيه أن الناقلين "الإخصائيين فى الاتصال" لا يعرفون القصد مما عاينوا أو سمعوا وينقلون الخبر على ما فى ظنهم وتخمينهم فيقعون فى الكذب فى كثير من الأحيان.

٢- الرسالة: التى من الضرورى مناقشتها فى ذاتها للوقوف على مدى اتفاقها مع طبيعة الأمور ومع الظروف والملابسات التى يحكيها الراوى (المرسل) ومناقشة مادة تلك الرواية (الرسالة).

٣- المستقبل : وقد أوجب عليه "ابن خلدون" أن يتأكد من أمانة الرواى (المرسل) وصدقه وسلامة ذهنه، وطهارة عقيدته، ومتانة خلقه وقيمته الشخصية(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن خلدون يلزم المستقبلين باستخدام منطق الإمكان الاجتماعى لكن الرسالة التى تصل إليهم ويطالبهم بعدم الثقة فى الناقلين الذين قد يتزلف بعضهم لأرباب المناصب الكبرى لغاية فى نفوسهم.

نظرية "كولن" فى الاتصال

تعتبر نظرية "كولن" من النظريات الحديثة الرائدة فى مجال الاتصال والتى استخدم فيها بعض المصطلحات المستعارة من العلوم الكهربية والالكترونية مثل المرسل والرسالة والتدفق والمستقبل ورجع الصدى أو التغذية العكسية.

وتعتمد هذه النظرية على عقل الإنسان باعتباره المركز الرئيسى للاتصال بالنسبة للإنسان سواء فى الإرسال أو الاستقبال، ذلك لأن العقل هو الذى يصوغ الرسالة التى يتولى الجهاز الصوتى توصيلها إلى المستقبل، ويمكن فى العقل – أيضاً– الادراك الذى يتولى استيعاب الرسائل، بالإضافة إلى العمليات النفسية الأخرى مثل التذكر والانتباه، التى تساعد على إرسال واستقبال تلك الرسائل.

ويمكن تلخيص الموقف الاتصالى فى نظرية "كولن" على النحو التالى:

١– المرسل الذى يستمد من عقله الرسالة التى يرغب فى توصيلها إلى شخص آخر.

٢– الرسالة التى يصوغها بعقله فى شكل يمكن ادراكه من المرسل إليه.

٣– المستقبل الذى يستخدم عقله وقدراته واستعداداته النفسية مثل التذكر والادراك والانتباه فى استيعاب تلك الرسالة.

٤– التغذية العكسية أو رجع الصدى وهى الاستجابة للرسالة (المثير) تلك التى تعود إلى المرسل وبذلك تكتمل الدورة الاتصالية.

ويلاحظ أن تلك النظرية تعتمد كلية على الدراسات النفسية وتعتبر من النظريات المتكاملة لقيامها على أساس أن الاتصال دورة مستمرة.

نظرية "ستيفنسون" فى الاتصال:

ربط "ستيفنسون" بين نظريته فى الاتصال و "الامتاع" على أساس أن المستقبل يشعر بالاستغراق والمتعة فيما يقرأ أو يشاهد لاسيما فى الاتصال الجمعى. فمن الضرورى أن تتخلل العملية الاتصالية بعض القطع الموسيقية أو

الأغنيات الخفيفة لتقليل حالة الضغط الإعلامى على المستقبل وتلك هى النظرية السائدة فى أجهزة الاتصال الجمعى المصرية، لاسيما الإذاعة والتليفزيون.

وربط "ستيفنسون" كذلك بين الاتصال وتكوين الرأى العام والارتقاء بالأذواق العامة والثقافة، عن طريق ما يقدم للناس من مواد امتاعية مثل المسرحيات والتمثيليات وما ينشر من قصص وروايات وأشعار .... الخ

ويلاحظ أن الموقف الاتصال فى هذه النظرية من شروطه:

١- إلزام المرسل بأيدلوجيا المجتمع التى من أهدافها ربط المواطنين بمجتمعهم والارتقاء بأذواقهم فى مختلف النواحى الاجتماعية والثقافية ... الخ.

٢- صياغة الرسالة فى أسلوب شيق يعتمد على الامتاع بشكل يجعل المستقبل على اتصال مستمر بمصادر المعلومات.

٣- إتاحة الفرصة للمستقبل للدخول فى حوار مع المرسل، حتى يؤدى ذلك إلى تكوين رأى عام مستنير يعتمد على الحقائق الواضحة، وليس على ما تقدمه له الأجهزة التنفيذية، دون أن تكون للجماهير حق معرفة مصادر وصدق وثبات ما يقدم لهم من معلومات.

وتلك النظرية تقوم أيضا على مراعاة النواحى الاجتماعية والنفسية التى تعيشها الجماهير الكادحة والتى من حقها أن تشترك بالرأى فى أمور مجتمعها من خلال استمرار اتصالاتها بمصادر المعلومات فى المجتمع، ذلك الاتصال الذى تضعه تلك النظريات مخلوطا بالمواد الامتاعية.

نظرية "لازارسفيلد" فى الاتصال:

تعتمد نظريته على دراساته الميدانية فى قياس استجابات المستمعين للإذاعة كوسيلة اتصال رئيسية وهو نفس الأسلوب الذى استخدمه زميله وابن وطنه مورينو" فى وضع نظرية مبتكرة فى قياس العلاقات الاجتماعية، ويلاحظ تشابه الخطوات حيث وضع كلاهما منهاجا جديدا كل فى مجاله، كما أنشأ كل منهما معهدا للدراسات الميدانية المتخصصة.

ففى معهد قياس العلاقات الاجتماعية الذى أنشأة "مورينو" فى نيويورك يتولى علم الاجتماع من خلال الدراما الاجتماعية، ربط الأفراد بمجتمعهم، أى زيادة روابط الاتصال بين هؤلاء الأفراد وبين مجتمعهم، لاسيما هؤلاء الذين يعانون من توترات وضغوط اجتماعية.

أما فى مركز البحوث التطبيقية الذى أنشأة "لازارسفيلد" فى جامعة كولومبيا فقد استخدم فيه المقاييس العلمية لدراسة استجابات المستمعين للمواد الإعلامية التى تقدم فى أجهزة الاتصال وتحليل أثر تلك المواد الإعلامية وردود أفعالها فى سلوكهم واتجاهاتهم وأذواقهم... الخ، وهى البحوث التى تعرف حديثا ببحوث المستمعين أو المشاهدين.

ومن خلال دراساته الميدانية توصل إلى نظريته فى الاتصال المستمدة من التأثير على مرحلتين أو الاتصال ذى الخطوتين، تلك النظرية التى يتبلور فيها الموقف الاتصالى على النحو التالى:

١- المرسل، وهو الذى يؤلف وينقل الرسالة.

٢- الرسالة، وهى ما يرغب المرسل فى إرساله إلى المستقبل من خلال وسائل الاتصال الجمعى.

٣- المستقبل (الجماهير) وهذه الجماهير من وجهة نظر تلك النظرية لا تتأثر بالرسالة مباشرة وإنما يتأثرون أكثر إذا ما نقلت إليهم تلك الرسالة مرة أخرى عن طريق قادة الرأى ويمكن تصور مفهوم قادة الرأى من خلال الدراسات التى أجريت على أبنية الاتصال فى المجتمعات المحلية القروية، حيث يحتكر قائد الرأى بعض الأساليب الاتصالية (القراءة) أو الأجهزة الاتصالية (راديو) مثلا ومن خلال متابعة القراءة أو الاستماع فإنه يستطيع إعادة صياغة الرسالة بشكل يتفق مع الحالة المعنوية للمستقبل.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه النظرية أضافت بعدا جديدا إلى نظرية الاتصال، يمكن أن نلتمسه فى قرانا المصرية، حيث يلعب القلة من أبناء القرية

الذين نالوا حظا قليلا من التعليم مثل مجرد القراءة والكتابة (فك الخط) أو مدرسى التعليم الابتدائى أو الذين يملكون أجهزة الراديو... يلعبون دورا خطيرا فى تفسير الرسائل الاتصالية، الأمر الذى يتطلب من القائمين على بحوث الاتصال فى أجهزتنا الاتصالية التركيز على هؤلاء حتى لاتصل رسائل تلك الأجهزة إلى الريفيين بصورة ملتوية.

obeikandl.com